الفصل الثانى

حروف القافية

أراد الشاعر العربى أن يوفر لموسيقى قافيته رنيناً عالياً ، ممتداً فى الزمن ، متماثلاً فى الصفة ، فأكثر من الحروف والحركات التى جانس بينها فى أواخر الأبيات ، ملتزماً بعضها بأعيانها ، وملتزماً بعضها الآخر بنظائرها التى تعطى جرساً قريباً من جرسها .

وكانت الحروف التى التزمها – إن جاء بها فى القافية – ستة ، أعطى علماء القوافى كلاً منها اسماً خاصاً به . وهى على حسب تتابعها فى القافية : التأسيس ، والدخيل ، والردف ، والروى ، والوصل ، والخروج . وقد اجتمع خمسة منها فى قول الشاعر :

من لا يمتْ عَبْطةً يمتْ هَرَما للموت كأس فالمرءُ ذائقها[1]

فالقافية ذائقها ، والألف تأسيس ، والهمزة دخيل ، والقاف روى ، والهاء وصل ، والألف خروج . ولم يرد فيها الردف الذى لا يجتمع هو والدخيل .

وتتفاوت قيمة هذه الحروف تبعاً لتفاوت قيمها الصوتية ، ووجوب التمسك بها : فأهمها دون منازع الروى ، ثم الوصل والخروج ، وأخيراً التأسيس والدخيل والردف . وقد عبر ابن جنى عن ذلك تعبيراً واضحاً فى قوله الموجز[2] : « آخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها ، والعناية بها أمَسّ ، والحَشْد عليها أوفى وأهمّ ، وكذلك كلما تطرّف الحرف فى القافية ازدادوا عناية به ، ومحافظة على حكمه » . ولذلك عدلوا فى تناولهم إياها عن ترتيبها على حسب مواضعها إلى ترتيبها بحسب أهميتها .

الرَّوِىّ

هو الحرف الذى تُبنى عليه القصيدة ، فيرد فى كل بيت منها ، ويشغل موضعاً معيناً لا يتزحزح عنه فى أواخر الأبيات ولذلك تنسب إليه القصيدة فيقال الهمزية للقصيدة التى رويها

(١) مات عبطة : فى شبابه . (٢) الخصائص ١ : ٨٤ .

الهمزة ، والبائية للتى رويها الباء . وقد اشتهرت عدة قصائد فى دنيا الأدب بهذه النسبة ، مثل همزية البُوصِيرى وأحمد شوقى ، وتائية عمر بن الفارض ، وسينية البحترى ، ولامية العرب للشَّنْفَرى ، ولامية العجم للطُّغْرائى ، ولامية عمر بن الوردى ، وبائية ابن الفارض .

وذهب المعرى – كما عرفنا – إلى أن عرب الجاهلية استخدموا هذا المصطلح استخدام علماء القوافى له . وعلى الرغم من ذلك ، اختلف هؤلاء العلماء فى أصل اشتقاقه :

١ – فقال كثيرون : إنه مأخوذ من الرِّواء بمعنى الحبل ، أرادوا أنه يضم أجزاء البيت ويصل بعضها ببعض ويمنعه من الاختلاط بغيره كالحبل الذى تشد به الأمتعة فوق الجمل : فاللفظ على وزن فَعِيل غير أن معناه معنى اسم الفاعل . وقيل : بل هو باق على أصله ، أى فعيل فيه بمعنى المفعول ، وكأنه هو الذى يُرْبَط لأنه يُعاد فى كل بيت . قال الراجز[٣] :

إنى – على ماكان من تَخدُّدِى
ودقةٍ فى عظم ساقى ويَدى –
أَروِى على ذى العُكَنِ الضَّفَنْدَد

٢ – وقال كثيرون : إنه مأخوذ من الرواية بمعنى الجمع والحفظ : فالروى بمعنى المَرْوِىّ . قال الشاعر[٤] .

رَوَى فىّ عمروٌ مارواه بجهله سأترك عمراً لايقول ولا يَرْوِى

٣ – وقال ابن السراج[٥] : إنه مأخوذ من الارتواء ؛ لأنه تمام البيت الذى يقع به الارتواء والاكتفاء .

٤ – وقال الدمنهورى[٦] : مأخوذ من الرَّوية ؛ وهى الفكرة ، لأن الشاعر يتفكر فيه .

٥ – وقال الأب فوتيه[٧] : مأخوذ من الرُّواء أى المنظر الحسن ؛ لأن به عِصْمة الأبيات وتماسكها ، ولولا مكانه لتفرقت عُصَباً ، ولم تتصل شعراً واحداً .

ولا يكون الشعر مقفًّى إلا إذا اشتمل على الروى ، وتكرر فى جميع الأبيات . فالروى فيه من التمكن ما ليس فى غيره من الحروف اللازمة فى القوافى ؛ لأننا قد نجد شعراً خالياً من بقية هذه الحروف ، ولا يوجد شعر مقفى يخلو من الروى .

---

(٣) الفصول والغايات ٤٦٤ . والتخدد : الهزال . والعكن : ما انطوى وثنى من لحم البطن ، جمع عكنة . والضفندد : الضخم الرخو .

(٤) التنوخى ٧٥ .
(٥) ١٠١ .
(٦) الإرشاد ١٣٢ .
(٧) البسط ١١٢ .

ومن حروف المعجم ما يصلح أن يكون رويًّا دون شروط ، وهى أغلب الحروف . ومنها ما لا يصلح إلا فى ظل شروط أفصلها فيما يلى :

الألف :

الألف أنواع متعددة يصلح بعضها ، ولايصلح بعضها الثانى ، ولا يصلح فريق ثالث إلا عند جماعة من العرب .

(أ) فالألف الصالحة اثنان :

الألف الأصلية (غير الزائدة) فى الكلمة ، مثل ألف قَضَى ورمى ، قال الراجز[٨] :

ذكرتُ والأهواءُ تدعو للهَوَى
والعيسُ بالرَّكب يجاذِبْنَ البُرَى

– والألف الزائدة للتأنيث مثل حُبْلَى أو لإلحاق الكلمة بالميزان الصرفى الذى فوقها مثل أَرْطَى اسم نبات .

(ب) والألف غير الصالحة أربعة :

١ – ألف الإطلاق التى تلحق القوافى المتحركة لإطلاق الصوت بها وإشباعه ، وتسمى الترنم والإشباع ، مثل قول الشاعر :

لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شىءٌ نَغَّص الموتُ ذا الغِنى والفقيرَا

٢ – الألف التى تلحق الكلمة لإبانة حركتها مثل ألف أنا وحَيَّهَلا بمعنى اقْدم[٩] .

قال عمرو بن مَعْدِى كَرِب :

قد علمَتْ سلمى وجاراتُها ما قَطَّر الفارسَ إلا أنا[١٠]

٣ – الألف المبدلة من تنوين المنصوب عند الوقوف ، فى مثل رأيت زيدَا ، قال أحمد شوقى :

قُمْ للمعلِّم وَفِّه التَّبْجيلا كاد المعلمُ أن يكون رسولاَ

٤ – الألف المبدلة من نون التوكيد الخفيفة ، مثل قول المتنبى :

---

(٨) العيس : الإبل البيض . والركب : الراكبون فوق الإبل . والبرى : جمع بُرَة ، وهى حلقة تعلق فى أنف الحمل .

(٩) يذهب البصريون من النحويين إلى أن الضمير فى (أنا) هو الهمزة والنون فقط ، وأن الألف الأخيرة زيدت لإبانة حركة النون . وعلى هذا المذهب بنى العروضيون ما أوردته فوق ، أما الكوفيون فيذهبون إلى أن الضمير الكلمة كلها .

(١٠) قطر الفارس : أوقعه عن فرسه وصرعه .

بادٍ هواكَ ، صَبَرتَ أم لم تَصْبِرا وبُكاكَ إنْ لم يَجْرِ دَمْعُك أو جَرَى[١١]

(جـ) والألف التى لم ترد روياً إلا عند قوم – ولذلك أنكرها أكثر الكاتبين فى القوافى ، وحكم عليها المعرى بالشذوذ – ألفان أيضاً[١٢] :

١ – الألف الدالة على الاثنين ، فى مثل قاما وقعدا .

٢ – الألف التى فى آخر ضمير الغائبة كرأيتها ، وضمير الغائبين كرأيتهما ، قال الشاعر :

ويَلْحَقُ أبناؤُه كلُّهم ويُدرِك حاجتَه كلَّها

ومهما يكن من حال فالألف أقل وروداً فى الروى من بقية الحروف غير الواو والياء ، قال المعرى[١٣] : « غير أن مارويه ألف أضعف مما رويه دال أو حاء أو غيرهما من الحروف الصحاح . ولو أن الراعى جعل الروى الحاء فى قوله :

عجبتُ من السّارينَ ، والريحُ قَرَّةٌ إلى ضوء نارٍ بين فَرْدَةَ فالرَّحَى

فلو أتى معها (بالضحا) و (اللحى) – لكان أقوى للنظم .

وقال الأخفش[١٤] : « وما جاء من الألفات اللاتى هن من الأصـــل رويًّا أكثر من الواو والياء » . وربما كان سبب ذلك أن مجىء الألف روياً يقصر الصوت المكرر عليها وحدها ، فيقل زمن الإيقاع ، وتخفت الموسيقى . أما تفوقها فى العدد على الواو والياء فأظن أنه يرجع إلى أن امتداد الصوت بها أطول من امتداده بهما .

وأطلق الأدباء على القصيدة التى تختم بالألف اسم المقصورة ؛ لاختتامها بألف مقصورة (غير ممدودة) . وقُدِّر لإحدى المقصورات أن تلقى إعجاباً لم يضعف على الأعوام ، وهى تلك التى نظمها ابن دريد ، فعارضها كثير من الشعراء .

الهمزة :

لا تصلح الهمزة المبدلة من الألف عند الوقف أن تكون رويا ألبتة ، مثل قولهم : هذه حُبْلأْ فى حُبْلَى[١٥] . وإنما تصلح الهمزة الأصلية . وعلى الرغم من ذلك ، اشترط الخليل

---

(١١) أراد تصبرنْ بالنون الخفيفة ، فلما وقف عليها أبدلها ألفاً ، ومثله كثير فى الكلام .

(١٢) الأخفش ٧٣ . التنوخى ٧٥ ، ٧٨ .

(١٣) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٤٥ . والسارون : السائرون بالليل . وفردة والرحى : موضعان .

(١٤) ٧٠ .

(١٥) التبريزى ١٥٠ .

التزام حركة الحرف الذى قبلها : قال التنوخى مبيناً الشرط وعلته[١٦] : « والهمزة تكون رويا ، وهى فى ذلك بمنزلة الباء والدال . . . ورأى الخليل أن يجعل ما قبلها على وجه واحد من الإعراب ، مثل قول ابن هَرْمة :

إنّ سليمى – والله يَكْلَؤُها – ضَنَّتْ بشىء ماكان يَرْزَؤُها

فجعل ما قبل الهمزة فتحة ، وألزم نفسه ذلك . والغرض فيه أن الهمزة يُجْترأ عليها بالتخفيف . . وربما خُففت فاختلفت باختلاف الحركات التى قبلها ، فتصير دفعة واواً ، ودفعة ياء ، ودفعة ألفاً . وإذا لزم الشاعر حركة واحدة لم يدخل هذا الاختلاف : ألا تراه لوخفف همزة (يكلؤها) لقال : (يَكْلاها) وكذلك (يَرْزاها) ، فعادت الهمزة فى الموضعين ألفاً بالإعلال . ولو أن مع هذه القوافى (ضِئْضِئها) لجاز ، إلا أنه لوخفف لقال : (ضِيضِيها) بالياء . وكذلك لو أن معها (جُؤْجُؤها) جاز ، إلا أنه لوخفف قال : (جُوجُوها) بالواو اعتباراً بالحركة التى قبل الهمزة . قال سعيد بن مسعدة : قد ناقض الخليل بهذا القول ، لأنه أجاز (رأس) مع (فلس) . ولو خُففت هذه الهمزة لصارت ألفاً تصلح للردف . ومن مذهب الخليل أنه لا يجيز (يجىء) مع (يسوء) لئلا يُخفَّف فيختلف » .

التاء :

أشبهت الهاء فى كونها فى بعض الأحيان ضميراً مثل شَرِبتُ ، وخالفتها فى كون صوتها أوضح ، فأدى هذا إلى امتناع بعض العلماء من جعلها روياً ، وعدّها وصلاً . ولكن غيرهم أنكر ذلك ، ولم يفرق بينها وبين إخوتها من الحروف الصحاح مثل الباء والدال . ولم يمنعهم رأيهم هذا من اعترافهم بشىء من الضعف فيها بصفتها من حروف الهمس . ولذلك التزم أكثر الشعراء القدماء معها حرفاً آخر تطوعاً منهم لتقوية صوتها ، كما فعل كثير عزة فى قصيدته :

خليلىّ : هذا ربعُ عزةَ ، فاعْقِلا قَلوصَيكما ، ثم ابْكِيا حيثُ حَلّتِ[١٧]

التى التزم فيها اللام مع التاء غير بيت واحد . وإن خالفهم العباسيون فلم يراعوا هذا الالتزام . وفرق الدكتور إبراهيم أنيس بين أنواع من التاء : فالتاء الأصلية أو التى تكون جزءاً من بنية الكلمة لايفترق عنها تكون روياً دون شروط ، كقصيدة البارودى :

سمع الخَلِىُّ تَأَوُّهِى فتَلفَّتا وأصابه عَجَبٌ فقال : مَنِ الفتى ؟

---

(١٦) ٨١ . ويكلؤها : يحرسها . ويرزؤها : يصيبها . والضئضئ : الأصل . والجؤجؤ : الصدر .

(١٧) الربع : المنزل . اعقل : اربط .

أما تاء التأنيث المنطوقة تاء فتستساغ حين تسبقها ألف مدّ[١٨] ، كقصيدة على الجارم :

أخرج الروضُ أطيبَ الثمراتِ هات ماشئتَ من قَريضك هات
زهرات تنبه بالغصن زهواً وغصون تـتيه بـالزهـرات

وإلا فلا بد من تقويتها بإشراك حرف آخر كصنيع كثير عزة .

الكاف :

ينطبق كل ما قيل على التاء عليها سواء كانت ضميراً أو من أصل الكلمة ، ومثال القصائد التى التزمت حرف مد قبل الكاف قصيدة على الجارم :

مالى فُتنتُ بلَحْظِك الفتّاكِ وسلوتُ كلَّ مليحةٍ إلاّ كِ

وقصيدة أحمد شوقى :

بيروت ، ياراحَ النَّزيل وأُنْسَه يمضى الزمانُ علىَّ لا أَسْلوكِ

ومثال القصائدالتى التزمت حرفاً مع الكاف قصيدة أبى الأسود الدؤلى :

زهيرُ بن مسعودٍ أحقُّ بما أتى وأنت بما تأتى حقيقٌ بذالكا

الميم :

لاخلاف فى وجوب وقوع الميم الأصلية رويا غير الميم المتصلة بالضمير فى (هم وهما) و (كم وكما) – فإنها فى هذه الحالة يجوز أن تكون وصلاً . فإن كانت روياً حسن أن يلتزم معها الحرف الذى قبلها . وعلى أية حالة ، فإن مجىء مثل هذه الميم المرتبطة بالضمير وحدها فى روى قصيدة لايكاد يتصور ، وإنما يكون ذلك فى البيت أو البيتين . أما أن تكون كل أبيات القصيدة مختتمة بمثل هذه الميم فلا يكاد يقع فى شعر الشعراء ؛ وإنما الذى يحدث عادة أن ترد فى ثنايا قصيدة رويها الميم الأصلية[١٩] ، كقول حافظ إبراهيم :

يُحييك من أرض الكنانة شاعرٌ شغوفٌ بقول العبقريين مُغْرَمُ
أَفِقْ ساعةً ، وانظرْ إلى الخَلْق نظرةً تجدهُم – وإنْ راق الطِّلاءُ – هُم هُم

---

(١٨) وفى هذه الحالة تأتى كلمات منتهية بتاء أخرى غير تاء التأنيث مثل هات .

(١٩) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ٢٥٣ .

النون :

تصلح النون روياً إلا فى حالتين : نون التنوين ، ونون التوكيد الخفيفة . وعلل المعرى عدم صلاحية الأخيرة بانقلابها ألفا فى الوقف ، ويصلح ذلك تعليلاً لأولاهما أيضاً ، قال[٢٠] : « فأما النون الخفيفة فلا يجوز أن تجعل روياً ؛ لأن القافية موضع وقف ، وهذه النون تصير فى الوقف ألفاً . فإن أريد بها الثقيلة – إلا أنها خُففت للقافية كما تخفف لام (أَضلّ) ودال (أشدّ) – فلا بأس أن تجعل روياً ، لأنها فى نية المثقلة » .

الهاء .

(ا) إذا سكن ماقبل الهاء وجب أن تكون روياً ، إذ تعذر أن تكون وصلاً ، لأن الساكن لا يكون له وصل : إنما الوصل للحرف المتحرك يولد مثل حركته . ولا فرق هنا بين الهاء الأصلية فى الكلمة مثل قول الشاعر :

أَلاَ لا قَبَّحَ الرَّحْمٰ نُ ذاك الوجهَ من وجْهِ
فما إنْ عايَنَ الناسُ له فى الناس من شِبْهِ

والهاء التى ليست من الكلمة وإنما ألحقت بها مثل قول الشاعر :

إن قلبى كاد يَكويه ذو دلالٍ لا أُسَمِّيْهِ
لانَ حتى لو مَشَى ذَرٌّ علـ ـيه كـاد يُـدْمِـيْـهِ

وعلى الرغم من وضوح هذه القاعدة انحرف عنها جماعة من الأئمة الكبار مذهباً منهم أو خطأ . قال المعرى[٢١] : « وكذلك يجعلون ما قافيته (ثناياها) و (عطاياها) فى جملة الألف ؛ وإنما ينبغى أن تكون فى باب الهاء ؛ لأنها الروىّ . ويجعلون ما قافيته مثل (يديه) و (عليه) فى باب الياء . وكذلك مايبنى على (مُحييها) و (فيها) ؛ وإنما ينبغى أن يكون النسب فى هذا كله إلى الهاء . ودل كلام أبى بكر السراج (المتوفى سنة ٣١٦) فى الأصول على أن الروى الياء فى قول الشاعر :

لها أشاريرٌ من لحمٍ تُتَمِّرُه من الثَّعالى ، ووخزٌ من أَرانيها

---

(٢٠) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٤٩ .

(٢١) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٤١ . والأشاريز : القطع المستطيلة ، جمع إشرارة . وتتمره : تقطعه وتجففه . والثعالى : الثعالب . ووخز : قليل . والأرانى : الأرانب .

وهذا يشبه مذاهب المؤلفين ، ويجوز أن يكون مذهباً لابن السراج أو وهماً منه لقلة عنايته بهذا النوع . وقد روى أبو الحسن العروضى الذى كان فى صحبة الراضى أن أبا إسحاق الزجاج (المتوفى سنة ٣١١) سئل عن الروى فى قول الشاعر : (ميلُوا إلى الدار من ليلى نُحَيِّيها) فزعم أنه الياء ، فروجع فى ذلك فلم ينتقل عنه ؛ وإنما ذكر أبو الحسن ذلك يعيبه عليه ؛ لأن مذهب الخليل والطبقة الذين بعده أن الروى الهاء . . » .

(ب) ولا تصلح الهاءات الآتية أن تكون روياً شريطة أن يكون ما قبلها متحركاً :

١ – الهاء المنقلبة عن تاء التأنيث المربوطة فى نحو عائشة وطلحة ، قال الإمام الشافعى :

أُحبُّ الصالحين ، ولستُ منهم لعلِّى أن أنال بهم شفاعَهْ

٢ – هاء الضمير فى مثل غلامه وغلامها ، سواء تحرك الضمير كقول الشماخ :

حمامةَ بطنِ الواديَيْنِ : تَرَنَّمى سَقاكِ من الغُرِّ الغَوادِى مَطيرُها[٢٢]

أوسكن مثل قول الشاعر :

أخٌ ماجدٌ ، لم يُخْزِنى يومَ مَشْهَدٍ كما سيفُ عمرٍو لم تَخُنْهُ مَضاربُهْ[٢٣]

٣ – هاء الوقف التى تبين حركة الحرف الذى قبلها ، وتسمى هاء السَّكت ، وهاء الاستراحة ، مثل قول بعض جوارى العرب[٢٤] :

يـا أَبَـتِـى ، ويـا أَبَـهْ
حَسُـنْتُ إلا الـرَّقَـبَـهْ
فَـزَيِّـنَـنْـهـا يـا أَبَـهْ
كَـيْمـا يجىء الـخَـطَـبْـه
بـابـلٍ مُـقَـرَّبَـهْ
لـلـفـحـلِ فيها قَبْقَبَهْ

وتعد الهاء فى هذه الأحوال الثلاثة وصلاً ، مثلها فى ذلك مثل الألف والواو والياء التى للإطلاق . وسبب معاملتها معاملة هذه الحروف خفاء صوتها ، وصدورها من مخرج الألف ، وصلاحيتها لإبانة حركة الحرف الذى قبلها . قال الأخفش[٢٥] : « شبهوهن بالياء والواو

(٢٢) الغر : السحب البيضاء ، جمع غراء . والغوادى : الآتية فى الغداة ، أى ما بين الفجر وشروق الشمس .

(٢٣) المشهد : المعركة .

(٢٤) الخطبة : الخاطبون . والمقربة : المكرمة . والقبقبة : الهدير . والهاء فى الأبيات الثلاثة الأولى للوقف ، وفى الثلاثة الأخيرة للتأنيث .

(٢٥) ١١ ، ١٢ ، ٧٨ .

والألف ، وإن كانت الهاء لا يجرى فيها الصوت فلأنها حرف ضعيف ، خفى المخرج فأشبه بخفائه حروف اللين . ومع ذا إن مخرجها ومخرج الألف واحد ، وقد أجريت الألف مجراها . فبيّنوا بها حركة نون (أنا) فى الوقف ، كما بينوا حركة ميم (عَمّه) فى الوقف بالهاء . وقد بلغ من خفائها وخفتها أنهم إذا كانت هاء الإضمار التى للمذكر بعد حرف مجزوم أو ساكن (مبنى على السكون) ضموه فى الوقف ، فقالوا : اضْرِبُه ، ومِنْهُ ، ولم تَضْرِبُهْ . وقال بعضهم فكسر : ضَرَبَتِهْ ، وشَتَمَتِهْ . سمعنا ذلك من العرب فى تاء التأنيث خاصة . فهذا يدلك على خفاء الهاء وغموضها » .

(حـ) تكون الهاء الأصلية المتحرك ما قبلها روياً ، مثل قول رؤبة[٢٦] :

قالتْ أُبَيْلى لى ، ولم أُسَبِّهِ
ما العيشُ إلا غَفْلَةُ المُدَلَّهِ

وذلك هو الجيد فيها ، غير أنها إذا اجتمعت هى وهاءات زائدة جاز ألا تكون روياً وتصير وصلاً ، مثل قول الراجز[٢٧] :

أعطيتُ فيها طائعاً أوكارها
حديقةً غَلْباءَ فى جدارها
وفرساً أنثى ، وعبداً فارِها

فجعل الراء روياً ، واستوت الهاء الأصلية فى كره وفره مع الهاء الزائدة فى جدارها . قال المعرى[٢٨] :

« وإذا كان ما قبلها متحركاً ، وكانت من السنخ ، مثل (الشَّبِه) و (المشابه) فإنها تكون روياً ، كما قال رؤبة . . . وربما بُنيت الأبيات على أن تكون موصولة بهاء الإضمار ، ثم جعلت معها الهاء الأصلية وصلاً ، أو بُدئ بالهاء الأصلية ثم دخلت عليها هاء الإضمار ، مثل أن تُبنى القصيدة على (المكاره) و (المدَارِه) جمع مِدْره (محامٍ) . . . ثم يجاء بعد هذا بـ (ناره) و (جداره) . وليس هو بعيب إلا أنى أجعله ضعفاً فى البنية » . وعلى الرغم من ذلك قال ابن جنى : ووقوعها وصلاً كثير عنهم .

---

(٢٦) السبه : ذهاب العقل من كبر السن . والمدله : الساهى القلب الذاهب العقل من الحب والهم وغيرهما .
(٢٧) الغلباء : الكثيفة الشجر . والفاره : الحاذق .
(٢٨) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٤٣ . والسنخ : الأصل .

الواو :

قسمها علماء القوافى ثلاثة أصناف :

(١) الواو التى يجب أن تكون رويًّا لا غير ، وهى :

١ – الواو المتحركة . كقول الشاعر :

إذا ما ترعرع فينا الغلامُ فما إنْ يُقال له : مَنْ هُوَهْ ؟[٢٩]

٢ – الواو الأصلية المتحركة الساكن ماقبلها ، مثل دلو وعضْو ، قال الراجز[٣٠] :

إنى – إذا ماخذلتْنى دَلْوِى –
سقيتُ من حوضٍ غزيرِ الصَّفْوِ
مالم يكن فى طرفٍ من شَكْوِ

٣ – واو الجماعة الساكنة المفتوح ماقبلها ، مثل اخْشَوْا ، قال الراجز :

حَدَّثنا الراوون فيما رَوَوْا
أن شرارَ الناسِ قومٌ عَصَوْا

وعلل الأخفش وجوب كونها هى والياء رويًّا فى هذه الحالة فقال[٣١] : « إنما منعهن أن يَكُنّ وصلاً أنهن لسن على ماقبلهن ، فلم يشبهن المَدات » يريد عدم مجانسة الحركة السابقة عليهما لهما . ومهما يكن من شىء ، فالشعر الآتى على هذا النمط قليل . قال المعرى[٣٢] : « فإذا انفتح ماقبل الواو فى مثل (عَصَوا)و (غَزَوا) و (قَضَوا) فالجماعة يجعلونها روياً ، ولايجيزون أن تكون وصلاً . وذلك مفقود فى أشعار الفصحاء ؛ إنما يجىء منه الشىء النادر ، ولعله مصنوع . ولو أن قائلاً بنى شعراً على مثل (قَضَوا) لأثرت له أن يلزم الضاد ، لأن ذلك أقوى للنظم ، وإن لم يفعل فليس بأبعد من تصييرهم الألف روياً » .

٤ – الواو المشددة كمدعوّ ، قال :

وإن من شرائطِ العُلُوِّ
العطفَ فى البؤسِ على العدوِّ

---

(٢٩) على خلاف من بعض الناس فى صلاحية هذه الواو – التى هى جزء من ضمير – أن تكون رويا .

(٣٠) الشكو : القربة . يبدو أن ابن السراج ١٠٣ يرى أن هذا النوع جائز أن يكون رويا لا واجب .

(٣١) ٧٢ . ويذهب ابن السراج فى هذا النوع مذهبه فى سابقه . وانظر التنوخى ٧٩ .

(٣٢) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٤٥ .

(ب) الواو التى يمتنع أن تكون روياً ، وهى :

١ – واو الإطلاق : والعلة فى ذلك أوردها الأخفش فى صدد حديثه عنها وعن الألف والياء ، قال[٣٣] : « وإنما منعهن أن يكنّ روياً أنهن ليس لهن أصول فى الكلام ؛ وإنما هن مزيدات على ماقبلهن لتمام الشعر ، وإنما زادوهن من بين الحروف لأن الشعر وُضع للغناء والترنم . وأكثر ما يكون ذلك فى آخر البيت . فزادوا حروفا يجرى فيها الصوت . وذلك أن الصوت لايجرى إلا فى حروف المد واللين ، وهن الياء والواو الساكنتان والألف » . وتنتمى إلى هذا النوع الواو اللاحقة بالفعل المعتل المجزوم بحذف حرف علته مثل (لم يغزو) والواو اللاحقة للضمير مثل (ضربتموه) و (غلامَهُو) .

(حـ) الواو التى يجوز أن تكون روياً أو وصلاً ، وهى :

١ – الواو الساكنة الأصلية أو المنقلبة عن أصل ، المضموم ما قبلها ، مثل يغزو ويغدو ، وكونها وصلاً أكثر عند الفصحاء . قال زهير[٣٤] :

صَحا القلبُ عن سلمى ، وقد كاد لايَسْلو ... وأَقْفَرَ من سلمى التَّعانيقُ والثَّقْلُ(و)
وقد كنتُ من سلمى سنينَ ثمانياً ... على صِيرِ أمرٍ مايَمرُّ ومايَحْلو

٢ – الواو المخففة من المشددة مثل عدوّ ، قال المعرى[٣٥] : « وإذا خففت الواو من (عدو) و (غُدُوّ) فى القافية فلا يمتنع أن تجعل روياً ، وكونها وصلاً أكثر » .

٣ – واو الجماعة المضموم ما قبلها مثل كتبوا . ذهب أكثر العلماء إلى أنها يمتنع أن تكون روياً ويجب أن تكون وصلاً . وإنما أفسد عليهم رأيهم أبيات منسوبة إلى مروان بن الحكم تناقضه ، قال :

هل نحنُ إلا مثلُ من كان قبلَنا ... نموتُ كما ماتوا ، ونَحيا كما حَيُوا
وينقص منا كلَّ يومٍ وليلة ... ولابد أن نَلْقى من الأمر مالقُوا
نؤمل أن نَبْقَى ، وكيف بقاؤنا ؟ ... فهلاّ الأُلى كانوا مَضَوا قَبْلَنَا بَقوا !
فَنُوا وهمُ يرجون مثل رجائنا ... ونحن سنفنى مرةً مثل ما فنوا
لنا ولهم يومَ القيامة موعدٌ ... سنُدعَى له يوم الحساب إذا دُعوا
ويُحْبَس منا من مضى لاجتماعنا ... بموطنِ حقٍ ثم نُجْزَى إذا جُزوا

---

(٣٣) ٧٨ .

(٣٤) التعانيق والثقل : موضعان . وصير الأمر : منتهاه .

(٣٥) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٤٦ .

فمنهم سعيدٌ سعدةً ليس بعدها شقاءٌ ، ومنهم بالذى قَدَّموا شقوا
عَمُوا عن هُدَى قَصد السبيل عَمَى الذى رآه وقَرْنٌ قد خلا قبلهم عَمُوا

فوقفوا حيالها موقفاً متعسفاً ، وأبوا أن يعترفوا بها ، بل كادوا ينكرون صحتها . قال المعرى[٣٦] :

« وإذا كانت للإضمار فى مثل (فَعَلوا) و (قتلوا) وكان ما قبلها مضموماً . ولم تكن فى مثل (عصَوْا) و (رَمَوا) فإنها تكون وصلاً لاغير . فإن جاء غير ذلك حُسِب من عيوب الشعر التى تسمى الإكفاء والإجازة ونحو ذلك . وقد وجدتُ فى أشعار قريش شعراً منسوباً إلى مروان ابن الحكم قد جعل الواو فيه روياً ، فى مثل (دعُوا) و (لقُوا) فإن صح ذلك فليس بأبعد مما بنى على الألف ، وذلك قليل نادر .

والواو المضموم ماقبلها فى مثل (فعلوا) لا تكون إلا وصلا ، وليس على الشذوذ تعويل . ولا أعرف لأحد من أهل الفصاحة مثل أبيات مروان » .

ولم يشذ عن هذه الجماعة غير الأخفش الذى اعترف بهذا النمط من الشعر ، وعلله أيضاً ، فقال[٣٧] : « وقد تجعل ياء اضربى ، وواو اضربوا رويا ، لأنهما بُنيتا مع الكلمة ، وجاءتا لمعنى فأشبهتا الواو والياء اللتين من الأصل ، وإن لم تكونا فى قوتهما » .

وختام القول فى الواو يجب أن أقول ما قال المعرى من قبل[٣٨] : « مابنى على الواو قليل جداً لأن العرب إنما كانت تتبع أشرف الكلم فى السمع » .

الياء :

تكاد تماثل الواو فى أحكامها ، فتنقسم الأقسام الثلاثة التالية :

(ا) الياء التى يجب أن تكون روياً ، وهى :

١ – الياء المتحركة ، مهما كانت وكانت حركة الحرف الذى قبلها . قال الشاعر :

يقولون : ليلى بالعراق مريضةٌ فيا ليتنى كنت الطبيب المُداويا

٢ – الياء الواقعة بعد حرف ساكن : تحركت هى أوسكنت ، مثل قول الشاعر :

أجلُّ الناسِ – إن فَخَروا – نِصاباً وأكرمُهم – إذا اختُبِروا – سَجايا[٣٩]

---

(٣٦) المرجع نفسه ٤٣ . وانظر التنوخى ٧٩ ، والحور العين ٩٤ .

(٣٧) ٧٣ .

(٣٨) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٤٦ .

(٣٩) النصاب : الأصل . والسجايا : الطبائع والأخلاق ، جمع سجية .

٣ – الياء الساكنة الواقعة بعد حرف ساكن ، مثل عَصايْ وهَوايْ .

٤ – ضمير المخاطبة المفتوح ما قبله ، مثل اخشَيْ[٤٠] .

٥ – الياء المشددة ، سواء كانت للنسب ، مثل قول سُديف يحرض السفاح على الأمويين :

فضَعِ السيفَ ، وارفعِ السوطَ ؛ حتى لاترى فوق ظَهْرِها أُمويًا

أوكانت لغير النَسب ، كقول الشاعر :

تَأَنَّ فى الشيء إذا رُمْتَه فتُدرِكَ الرُّشْدَ من الغيِّ

واختلف العلماء فى التشديد : فقرر الجرمى والسيرافى التزامه ، ولم ير الخليل والأخفش التزامه بل جعلاه أحسن فقط .

(ب) الياء التى يمتنع أن تكون رويا ، وهى :

١ – ياء الإطلاق : للسبب الذى منع بقية حروف الإطلاق . قال أحمد شوقى :

ريمٌ على القاع بين البان والعَلَمِ أحلَّ سفكَ دمى فى الأشهر الحُرُمِ(ى)

لمارَنا حدثتْنى النفسُ قائلةً : ياويحَ جنبِك بالسهمِ المُصيبِ رُمِى !

وتندرج تحتها الياء التى تلحق الفعل المعتل المجزوم بحذف حرف العلة عند إطلاقه مثل (لم يَرمِى) ، وتلحق الضمير مثل (بِهِمِى) فى (بِهِم) و (غلامِهِى) فى (غلامه) .

(حـ) الياء التى يجوز أن تكون رويا أووصلا ، وهى :

١ – الياء الأصلية أوالمنقلبة عن أصل ، والمكسور ما قبلها ، مثل يرمِى والقاضِى ، والأحسن أن تكون وصلاً . قال الشاعر :

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجةُ من عاش لاتنقضِى

تموت مع المرء حاجاتهُ وتَبقى له حاجةٌ ما بقِى

٢ – الياء الأولى من صيغة فَعيل مثل بَهِىّ وزَرِىّ . قال الراجز :

ألم تكن حلفت بالله العَلِىّ

أنّ مطاياكَ لمن خيرِ المَطِىّ

٣ – الياء المخففة من المشددة فى النسب وغيره . قال الشاعر السابقة أبياته :

أشابَ الصغير ، وأفنى الكبير مرُّ اللياليِ ، وكرُّ العَشِىّ

(٤٠) يفهم من قول ابن السراج ١٠٣ أنها جائزة لا واجبة .

إذا ليلةٌ هَرَّمتْ يومَها أتى بعد ذلك يومٌ فتىٌّ
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

٤ – الياء الضمير المكسور ما قبلها شأنها شأن واو الجماعة المضموم ما قبلها ، ذهب أكثر العلماء إلى امتناع أن تكون روياً ، وأجازه الخليل والأخفش على قلة ، وللسبب الذى أوردته فى الواو . قال الراجز :

إنى امرؤ أحمى ذِمارَ إخوتى
إذا يرَوْن مُنْكَراً يرومون بى

وعلى قلة هذا النوع – حكم العلماء بأن مجىء ياء المتكلم المضافة رويا فى مثل غلامى أقل منه .

وخلاصة هذه الجولة أن الحروف جميعاً تصلح أن تكون روياً ، وأن أكثرها يجب عدها كذلك إلا حروفاً معينة حرمتها ظروف معينة من هذه الصلاحية . ونتبين فيها قسمين :

قسماً يمتنع أن يكون روياً ألبتة ، ويتكون من :

– ألف الإطلاق ، والمبينة للحركة ، والمبدلة عن التنوين وعن نون التوكيد الخفيفة .
– الهمزة المبدلة من ألف السكت .
– التنوين بأنواعه المختلفة ، ونون التوكيد الخفيفة .
– هاء السكت ، وهاء الضمير المتحرك ما قبلها ، والمنقلبة عن تاء التأنيث .
– واو الإطلاق ، واللاحقة بالضمير .
– ياء الإطلاق ، واللاحقة بالضمير .

وقسماً يجوز أن يكون روياً وألا يكون ، ويتكون من :

– الألف الأصلية ، والمزيدة للإلحاق أو التأنيث ، وضمير المثنى ، واللاحقة بالضمير ، على خلافٍ فى الأخيرتين .
– تاء التأنيث المنطوقة تاء لاهاء عند بعض الناس .
– كاف الخطاب عند بعض الناس .
– الميم الواقعة بعد هاء الضمير وكافه .
– الهاء الأصلية المتحرك ماقبلها .
– الواو الأصلية الساكنة المضموم ما قبلها ، والمخففة من المشددة ، وعند بعض الناس الضمير المضموم ماقبلها .

– الياء الأصلية الساكنة المكسور ما قبلها ، والمخففة من المشددة وياء فعيل الأولى ، وعند بعض الناس الضمير المكسور ما قبلها .

وإذا كان الحرف من هذا القسم الأخير وصلاً وجب التزام الحرف الذى قبله ليكون روياً . فإذا لم يلتزم وجب العدول عن عد هذا الحرف وصلاً ، وتعين عده روياً . كذلك يجب أن يعد الحرف منها وصلاً إذا ما اجتمع هو فى قوافى بقية الأبيات ومالا يصلح أن يكون روياً : كالأبيات الرائية الثلاثة التى أوردتها فى الحديث عن الهاء ؛ فإن الهاء من (كارها) و (فارها) أصلية ، فتصلح أن تكون روياً أو وصلاً ، غير أن الهاء من (جدارها) ضمير تحرك ما قبله فلاتصلح أن تكون روياً ، ويجب أن تكون وصلاً ، ويؤدى ذلك إلى وجوب أن تكون الهاء وصلاً فى كل الأبيات .

وحاول التنوخى أن يكفل أسباب السلامة والاطمئنان للروى ، فأتى بحكمه المطلق[٤١] : « الأحسن فى كل ما وقع فيه اختلاف أن يجعل وصلاً » . وربما كان متأثراً فى ذلك بأستاذه أبى العلاء المعرى[٤٢] الذى رفض كل ما خالف القواعد العامة التى قررها العروضيون ، وعدّه شاذاً .

وأرجع الدكتور إبراهيم أنيس[٤٣] الخلاف فى مجىء هذه الحروف رويًّا إلى « أنها جميعاً قد تقع لواحق للكلمات ، ولا تكون منها أصلاً من أصول الكلمة . وأساس الروى والشعور بموسيقاه مبنى على كونه جزءاً من بنية الكلمة . فاللواحق – وإن اتصلت بالكلمات – نشعر بانفصالها عنها واستقلالها » .

وعلى الرغم من صلاحية الصالح من هذه الحروف أن يكون روياً لم تأت فى الشعر على قدر واحد ، بل كان منها الكثير الشيوع والمتوسطة والنادرة ، على تفاوت بينها تبعاً للبيئة التى نظم الشعر فيها ، والعصر الذى أنتجه ، والشاعر الذى أبدعه ، بل والجمهور الذى خاطبه الشاعر .

وقد فطن المعرى إلى شىء من ذلك ، فأصدر أحكامه التى أوردتها على الألف والواو والياء ، إلى جانب ما أصدر على استخدام بعض كبار الشعراء لعدد من الحروف الصحاح . قال[٤٤] :

---

(٤١) ٨١ .

(٤٢) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٧

(٤٣) موسيقى الشعر ٢٥٥ .

(٤٤) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٣٩ . تحتوى الطبعة الحديثة من ديوان امرئ القيس على أبيات طائية له ٣٥٧ ، ومن ديوان البحترى على أبيات ثائية (٣٩٣ – ٦) وخائية (٤٨٥ – ٨) وغينية (١٣٤٣ – ٥) .

« فأما المتقدمون فقلما يتنظمون بالروى حروف المعجم ؛ لأن مارُوى من شعر امرئ القيس لا نعلم فيه شيئاً على الطاء والظاء ، ولا الشين ولا الخاء ، ونحو ذلك من حروف المعجم . وكذلك ديوان النابغة ليس فيه روى بنى على الصاد ولا الضاد ولا الطاء ، ولا كثير من نظائرهن . وهذا شيء ليس بخفى . . وهذا أبو عبادة (البحترى) ، وله شعر جَمّ ، ولا أعلم – فيما روى له – شيئاً على الخاء ولا الغين ولا الثاء ، إلا أن يكون شاذاً لم يثبت فى أكثر النسخ .

وإذا اتفق لهم أن يجيئوا بالحرف فقلّما يستوعبون مجيئه على كل الحركات . وإن استعملوه فى حال الحركة جاز أن يُلغوه من حال الإسكان . مثال ذلك أن أبا الطيب (المتنبى) استعمل الهمزة المضمومة والمكسورة ، ولم يستعمل المفتوحة ولا الساكنة ، واستعمل السين المكسورة دون المفتوحة والمضمومة والساكنة ، وكذلك جرى أمر الشعراء المتقدمين والمحدثين » .

وإذ كان اهتمام المعرى بالقوافى أعظم من اهتمام غيره بها بسبب ما التزمه فيها خرج من تجاربه فيها بتصنيف يقسم الروى ثلاثة أنواع[٤٥] :

١ – القوافى الذُّلل : وهى التى كثر دورانها على الألسن قديماً وحديثاً .

٢ – القوافى النُّفُر : وهى التى قلّ استعمالها عن سابقتها ، كالجيم والزاى .

٣ – القوافى الحوش : وهى المهجورة التى تكاد لا تستعمل .

والأمر الذى يؤسف له أن أبا العلاء لم يفرق حروف الهجاء على هذه الأقسام الثلاثة التى أتى بها ، ولكن ما فاته قام به الدكتور عبد الله الطيب[٤٦] فى العصر الحديث ؛ فقد تمسك بتصنيف المعرى ، ثم وزع عليه الحروف على النحو التالى :

القوافى الذلل : ء ب ت جـ حـ د ر س ع ف ق ك ل م ن يا .

القوافى النفر : ز ص ض ط ه و .

القوافى الحوش : ث خ ذ ش ظ غ .

ولم يكتف الدكتور الطيب بهذا التوزيع المجرد ؛ لأنه شعر أن الحروف التى وضعها فى الصنف الواحد تتفاوت فيما بينها فى السهولة والشيوع ومجيء القصائد أو المقطوعات الجياد فيها ، وأن هناك عوامل خارجية تتاح للحرف فتمنحه سهولة أو صعوبة أكثر مما له . وتتمثل هذه العوامل فى حركة الروى ، واتصالها بحرف آخر ، ونوع القافية التى يرد فيها ، ووزن القصيدة التى يقفيها :

---

(٤٥) المرجع السابق ٤٩ .

(٤٦) المرشد ١ : ٤٤ – ٦٥ .

فالنون أسهل القوافى الذلل ؛ لما يعتريها من حالات الإسناد والجمع والتثنية ، ولما يقع فيها من الصفات والجموع على وزن فعلان .

والميم واللام أحلاها ، لسهولة مخرجيهما ، وكثرة أصولها فى الكلام من غير إسراف . يليهما الباء والراء والدال .

والعين فيها شىء من العسر .

والقاف يتحاماها الشعراء .

والفاء صعبة جداً . وربما كانت أصعب من القاف .

والسين أصولها فى المعاجم أقل عدداً من الفاء أو القاف .

والحاء دون الجيم فى العسر .

والجيم حرف خداع ، ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه من قبله العذاب .

والهمزة قريبة من الذلل ، لكثرة ماورد فيها من الكلمات ذوات الألف الممدودة للتأنيث والإلحاق ، زيادة على اللوانى فيهن الهمزة الأصلية ، ومع هذا فهى ليست من الذلل حقاً . والشعراء يتنكبون طريقها ؛ لأن مخرجها فيه قبح .

والضاد فى القوافى النفر أيسر من الصاد قليلاً .

والهاء الأصلية عسرة للغاية ، وثقيلة غاية الثقل .

هذا ماوصل إليه عندما نظر إلى القوافى فى ذاتها . فلما أضاف إلى اعتباره حركاتها ، قال : التاء المكسورة قريبة من النون فى السهولة ، فى قافية المتواتر بشرط تقديم ألف مد عليها ، ثم فى قافية المتدارك بدون شرط .

الكاف المضمومة أعسر ماتكون ، أما المفتوحة والمكسورة فأيسر لإمكان استعمال الضمائر .

الحروف المشددة كلها عسرة ولا سيما إن حافظ الشاعر على تشديد الروى فى القصيدة كلها ، بل الحروف الذلل أنفسها يصعب بعضها إذا شدد كاللام والنون .

ومثال الحروف التى تغير من طبيعة الروى إذا ما اتصلت به : ألف الإطلاق التى اتصلت بالياء فأكثرت منها جداً ، وخاصة فى بحر الطويل ، وأكثر اعتماد الشعراء فيها على ياء المتكلم وجموع المنقوص المكسرة .

وأضيف إلى ما قال فى التاء ما قال فى قافية المترادف : إنها من أعسر القوافى ، وخاصة إذا كان الساكنان صحيحين أو كان الحرف الأول منهما واواً أو ياء ساكنة مفتوحاً ما قبلها ؛ وإن قافية المتواتر أحسن حظاً من الجياد فى حرف التاء .

أما الأوزان فقد مر علينا تعرضه لها فى (يا) ويمكن أن نضيف إليه قوله :

إن القافية الساكنة (المقيدة) التى لم يسبقها حرف مد غير كثيرة ، وفيها عسر شديد فى البحور الطوال إلا الرمل والمتقارب لخفتهما ؛ وأقواله الأخرى التى استمدها من إعجابه ببعض القصائد مثل القول بأن الجيم أكثر ما استعملت عند القدماء فى الوافر والطويل والرجز ، والسين أكثر استعمالها فى الخفيف والمنسرح والسريع ثم البسيط .

وحذر من القوافى الذلل وخاصة النون المخففة والياء المتصلة بألف الإطلاق ؛ لما تتميز به من سهولة يتبعها الإسهاب والثرثرة والإسفاف ؛ واحتفى بالصعوبة المتمثلة فى الكاف المضمومة ؛ لأن الإجادة فى مثلها تدل على فحولة متأصلة ، ولكنه لم يذهب بالصعوبة إلى المنتهى ؛ فقد رفض القوافى الحوش ؛ لأنها جميعاً لم يأت منها إلا الغث ، وما دخلت الخاء منها شعراً إلا أفسدته .

وأخيراً أتى بمجموعة من الأحكام القائمة على ذوقه الشخصى ، تقول : إن روائع الميم واللام كثيرة ، والقصائد الجياد من العين والفاء والسين كثيرة ، ومن القاف والتاء المكسورة والياء المنصوبة المطلقة قليلة ؛ وإن جياد الحاء أكثر من جياد الميم ، وإن متخيرات الجيم قليلة جداً ؛ وإن مقطوعات القاف الجيدة أكثر من طوالها الجيدة ؛ وإن مقطوعات الفاء والحاء أحسن من مطولاتهما على وجه الإجمال وأجود وأحق بالاختيار .

وإذا كان الدكتور الطيب اتجه اتجاهاً متأثراً بنوازعه الشخصية وذوقه الخاص كثيراً ، فإن الدكتور « إبراهيم أنيس »[٤٧] أقام أحكامه على الإحصاء المجرد أو كاد ، فقسم الحروف فى مجيئها روياً أربعة أقسام :

١ – الكثيرة الشيوع – وإن اختلفت نسبة شيوعها فى أشعار الشعراء – وهى : ر ل م ن ب د .

٢ – المتوسطة ، وهى : ت س ق ك ء ع ح ف ى ج .

٣ – القليلة ، وهى : ض ط هـ .

٤ – النادرة ، وهى : ذ ث غ خ ش ص ز ظ و .

ووفق كثيراً حين حاول أن يعلل هذه الظاهرة ، فقال : « ولا تُعزى كثرة الشيوع أو قلتها إلى ثقل فى الأصوات أو خفة بقدر ما تعزى إلى نسبة ورودها فى أواخر كلمات اللغة : فالدال مثلاً تجىء فى أواخر كلمات اللغة العربية بكثرة ، ولكن شيوعها فى اللغة عامة ليس بالكثير ، بل

(٤٧) موسيقى الشعر ٢٤٧ – ٨ .

ربما قل عن العين والفاء . ومع هذا فمجيء الدال روياً يزيد كثيراً على مجيء كل من العين والفاء . وليست تتطلب الزاى جهداً عضلياً يبرر ندرة ورودها روياً » .

وقد عرضت تصنيف الدكتور إبراهيم أنيس على الدراسة الإحصائية لجذور مفردات اللغة العربية ، التى قام بها الدكتور على حلمى موسى فى الحاسب الإلكترونى ، فوجدتها تتفق معه اتفاقاً عاماً ، وتختلف فى بعض الأجزاء .

فالترتيب الذى خرج به لشيوعها فى الموضع الأخير من الكلمة كما يلى مع استبعاد حروف اللين .

الراء	٤٩٤	الهمزة	١٨٥
الميم	٤٨٩	الزاى	١٦٥
اللام	٤٦٢	الكاف	١٤٠
الباء	٣٤٤	التاء	١٣٤
النون	٣٤٤	الصاد	١٣٣
الدال	٢٨٨	الشين	١٢٧
السين	٢٨٣	الثاء	١٢٢
العين	٢٨٣	الخاء	١٠٩
الفاء	٢٧٩	الهاء	٩٨
الطاء	٢٦٨	الضاد	٨٧
القاف	٢٦٨	الغين	٧٢
الجيم	٢١١	الذال	٥٩
الحاء	١٩٤	الظاء	٥٠

وإذن فالحروف الكثيرة الشيوع فى اللغة فى الموضع الأخير من جذورها يمكن أن نقول : إنها الراء والميم واللام والباء والنون ؛ والمتوسطة الشيوع هى : الدال والسين والعين والفاء والطاء والقاف والجيم ؛ والقليلة : الحاء والهمزة والزاى والكاف والتاء والصاد والشين والثاء ، والنادرة : الخاء والهاء والضاد والغين والذال والظاء .

وعلى الرغم من ذلك يجب أن أعد هذا الترتيب والتصنيف نظريين ؛ لأن الدراسة الإلكترونية قامت على مفردات معجم صحاح الجوهرى ، وهو من المعاجم المتوسطة التى قد

تعطى المعاجم الكبيرة كلسان العرب وتاج العروس صورة مغايرة لصورتها . أضيف إلى ذلك أن ما يلحق هذه الجذور من زوائد للتأنيث كتاء فاطمة وفاطمات وألف حبلى ، والوصف كألف ونون غضبان ، والتثنية والجمع كالألف والواو والياء مع النون فى (الولدان والولدين والمؤمنون) ومن ضمائر مثل (تجتهدان وتجتهدين وتجتهدون) ورآهما ورآهم ، وأمثالها لم يدخل فى حصر الحاسب الإلكترونى ، ولكنه يدخل حتماً فى اعتبار الباحث عن الروى .

مواضع الروى

وللروى ثلاثة مواضع فى البيت :

١ – فإذا كان الشعر مختوماً بأحد الحروف التى لم يختلف فى صلاحيتها للروى ، أو لم تخضع صلاحيتها لشروط معينة . أو كان مقيداً – كان الروى آخر حرف فى البيت ، مثل الزاى فى قول الشاعر :

نَهْنِهْ دموعَك إنّ من يبكى من الحَدثانِ عاجِزْ[٤٨]

٢ – وإذا كان مختوماً بأحد هذه الحروف ، وفقد صلاحيته للروى – كان الروى الحرف قبل الأخير ، مثل الباء فى قول أبى العلاء المعرى :

وما زالت الأيامُ وهْى غوافلٌ تُسَدِّدُ سهماً للمنية صائبا

٣ – وإذا كان مختوماً بألف قبلها هاء لاتصلح للروى – كان الروى الحرف الذى قبل الهاء ، مثل الباء فى قول الشاعر :

فى ليلةٍ لا ترى بها أحداً يَحْكِى علينا إلا كواكبها

أقسام الروى وفق حركته

ينقسم الروى – تبعاً لحركته أو سكونه – قسمين :

١ – الروى المقيد : وهو الساكن ، سمى بذلك لتقييده عن انطلاق الصوت به ، مثل قول الشاعر :

ماهاج حَسّانَ رسومُ المُقامْ ومَظْعَنُ الحىِّ ، ومَبْنى الخيامْ[٤٩]

(٤٨) نهنه : كف . والحدثان : أحداث الدهر ومصائبه .

(٤٩) الرسوم : الأطلال وما بقى من خرائب المنازل . والمظعن : الرحيل .

وينقسم بدوره إلى ضربين :

(ا) المقيد الذى يتم به وزنه ، مثل قول رؤبة :

وقاتمِ الأعماقِ خاوِى المخترقْ

فإن وزنه متفعلن مستفعلن مستفعلن . فإن زدت فيه حركة كانت فضلاً على البيت .

(ب) المقيد الممدود عما هو أقصر منه ، مثل قول أحمد شوقى :

سنونَ تُعاد ، ودهرٌ يُعيدْ لعمرك مافى الليالى جديدْ

فإن وزن شطره الأخير فعولُ فعولن فعولن فعولْ بمد تفعيلته الأخيرة التى أصلها فعلْ .

وأجاز العلماء فى القوافى المقيدة أن تختلف فى الإعراب والتخفيف والتشديد ، مثل قول امرئ القيس :

أغادِى الصَّبوحَ عند هرٍّ وفَرْتَنَى وليداً ، وهل أَفْنَى شبابى غيرُ هِرّْ[٥٠]

أصلها هرٌّ بالتشديد والجر . ثم قال فى القصيدة نفسها :

إذا ذقتُ فاها قلتُ : طعمُ مُدامةٍ معتقةٍ مما يجىء بها التُّجُرْ[٥١]

فأتى بالروى مخففا وأصله الرفع . ثم قال :

سماحةَ ذا ، وبِرّ ذا ، ووفاءَ ذا ونائل ذا ، إذا صحا وإذا سَكِرْ

فأتى به مخففاً عن أصل مفتوح .

والروى المقيد قليل الشيوع ، وهو فى شعر الجاهليين أقل منه فى شعر العباسيين ، لأن الغناء فى العصر العباسى التأم هو والروى المقيد[٥٢] .

٢ — الروى المطلق ، وهو المتحرك الموصول ، سمى بذلك لإطلاق الصوت به . وهو الكثير الشائع فى الشعر العربى .

ومن الشعر ما يجوز فيه التقييد والإطلاق ، وسبب ذلك أن فى وزنه تفعيلات طويلة ومتوسطة وقصيرة . والبحور التى يتفق فيها ذلك هى :

١ — المتقارب : لأنه فيه فعولُنْ وفعلْ ، وبينهما فعولْ . قال أمية بن أبى عائذ الهذلى :

ألا يالقومِ لطيف الخيا ل أَرَّق من نازحٍ ذى دلالْ[٥٣]

---

(٥٠) أغادى : أبكر . والصبوح : شراب الصباح . وهر وفرتنى : اسم امرأتين .

(٥١) المدام : الخمر . والمعتقة : القديمة . والتجر : التجار .

(٥٢) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ٢٦٠ .

(٥٣) النازح : البعيد .

يجوز أن تسكن اللام فيكون وزنه فعولْ ، وأن تحرك بالكسر فيكون وزنه فعولن .

٢ – الرمل : لأنه فيه فاعلاتُنْ وفاعلنْ ، وفاعلانْ بينهما ، قال زيد الخيل :

يابنى الصَّيداء ، رُدّوا فرسى إنما يُفْعَل هـذا بالذليلْ

إذا أسكنت اللام كان وزنه فاعلانْ ، وإذا كسرت كان وزنه فاعلاتن ، وكلاهما جائز .

٣ – الكامل : لأنه فيه متفاعلاتن (يسمى المُرَفَّل) ومتفاعلن ، وبينهما متفاعلانْ ، قالت سبيعة بنت الأحب :

أَبُنَيَّ : لا تظـلم بمكّـ ـكةَ لا الصغيرَ ولا الكبيرْ

يجوز تسكين الراء ويكون وزنه متفاعلان وفتحها ويكون الوزن متفاعلاتن .

٤ – الطويل : وقد اختلف العلماء فيه ، فرفض الخليل أن يجيز فيه التقييد والإطلاق . وأباحه الأخفش إذا كان آخره مفاعيلن ، لأنه إذا قيد جاء على مفاعيلْ ، وهى بين مفاعيلن وفعولن ، كقول الشاعر :

كأن عَتيقاً من مهارة تَغْلبٍ بأيدى الرجالو الدافنينَ ابنَ عَتّابْ

وقد فرّ حِصنٌ هارباً ، وابنُ عامرٍ ومن كان يرجو أن يثوب فما آب

ويدعى ابن السراج[٥٤] أن الأخفش اشترط لهذا الجواز تماثل الشطرين فى التفعيلات ، ثم يرد عليه بأن ذلك يراعى فى التصريع فقط . ولم أجد هذا الشرط فى كتاب الأخفش[٥٥] . ويزعم التنوخى[٥٦] أن الأخفش أجاز هذا التقييد ليبرئ امرأ القيس من الإقواء الذى يعيب قوله :

أحنظلَ : لو أحستمُ ووفيتمُ لأثنيت خيراً صادقاً ولأرضانْ

ثيابُ بنى عوفٍ طَهارَى نَقيةٌ وأوجُههم بيضُ المشاهد غُرّانْ[٥٧]

فلو أُطلق البيتان لصار الأول مكسوراً (ولأرضانى) والثانى مضموماً (غرانُ) . ولكن الأخفش[٥٨] فى كتابه يروى هذا التقييد عمن سمع العرب .

* * *

واتفق شعراء العرب فى آخر مراحل تطورهم الفنى على توحيد حرف الروى وحركته ، ولكنهم لم يصلوا إلى هذا الاتفاق فى يسر وسرعة ، بل تخبطوا آماداً طويلة بين الحروف المتقاربة

---

(٥٤) ١٠٢ .

(٥٥) ٩٢ .

(٥٦) ١٠٩ .

(٥٧) الغران : البيض ، جمع الأغر .

(٥٨) ٩٢ .

الجرس والمتباعدة ، فارتكبوا ماسماه العروضيون بعد بالإكفاء والإصراف ، كما تخبطوا بين الحركات المختلفة ، فوقعوا فيما سمى بالإقواء . . إلى أن تمت لهم السيطرة على لغتهم ، ورهافة الحس الموسيقى ، فتخلصوا من كل ما شاب شعرهم .

الوصل

الوصل الحرف الذى يلى الروى المتحرك ، سمى بذلك لأنه وصل حركة الروى : أى أشبعها ، أو لأنه موصول به . والسبب فى الوصل كون آخر الوزن مبنياً على السكون لانقطاع الوزن عنده ، وكونه تمام البيت الذى يسكن عنده[٥٩] . ولما كان الروى الساكن يتعذر مد الصوت بعده استحال وصله ، والوصل حرف غير ضرورى فى البيت . ولكنه إن وجد لزم فى القصيدة كلها .

واتفق علماء القوافى على أربعة حروف ترد وصلاً بدون منازع ، وهى :

١ – حروف المد الثلاثة : الألف ، والواو الساكنة المضموم ماقبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، ووصلوا بها لأن الصوت يجرى بها أكثر مما يجرى بغيرها ، ولأنها زوائد تتبع ماقبلها . فأتبعوا المضموم واوا ؛ لأن الضم والواو جنس واحد ؛ والمكسور ياء ؛ لأن الكسر والياء جنس واحد ؛ أما الألف فلا تسبقها إلا الفتحة دائماً[٦٠] .

ولا فرق بين الحرف الأصلى أو الزائد لدلالة جديدة أو لغرض ما فى هذه الصلاحية ، فتكون الألف الوصل أصلية ، كقول الشاعر :

بما بجفنيكِ من سِحْرٍ صِلِى دَنِفاً يَهْوَى الحياةَ ، وأما إنْ صَددتِ فَلاَ[٦١]

وتكون للإطلاق ، كقول جرير :

أقِلِّى اللومَ عاذلَ والعتابَا وقولى – إنْ أصبتُ : لقد أصابا[٦٢]

وتكون ضمير مثنى ، كما فى الشطر الأول من قول الخنساء :

أعينىَّ جودا ولا تجمُدا ألا تبكيان لصخر الندى ؟

---

(٥٩) ابن كيسان ٤٨ .

(٦٠) الأخفش ١٢ . التنوخى ٤٤ ، ٩١ ، ١١٢ .

(٦١) الدنف : المريض .

(٦٢) ومثلها لام الفعل المعتل الآخر بالألف المجزوم ، فعلامة جزمه حذف ألفه الأصلية ، والألف الموجودة للإطلاق .

وتكون الواو أصلية ، كقول الشاعر :

نصحتُك علماً بالهوى ، والذى أرى مخالفتى فاخترْ لنفسك مايحلُو

وللإطلاق ، مثل قول جرير :

متى كان الخيام بذى طُلوحٍ / سُقيتِ الغيثَ أيتها الخيامُ (و)[٦٣]

وضمير الجماعة ، مثل قول الشاعر :

تَمَسَّكْ بأذيالِ الهوى ، واخلع الحيا وخلِّ سبيلَ الناسكين وإنْ جَلُّوا

وتكون الياء أصلية ، كقول الشاعر :

أسيلةُ مَجْرَى الدمعِ ، أما وشاحُها فيَجرِى ، وأما الحِجْلُ منها فما يجرى[٦٤]

ومثلها المخففة من الهمزة ، كقول المتنبى :

كلما رُمْتَ لونَه مَنَع النا ظرَ مَوْجٌ كأنه منك هازِى

أى هازئ . وأنكرها ابن جنى ، ولكن المعرى أبطل إنكاره[٦٥] .

وتكون للإطلاق ، كقول امرئ القيس :

ولو أننى أسعى لأدْنَى معيشةٍ كَفانى- ولم أطلبْ- قليلٌ من المالِ(ى)

وضمير متكلم ، كقوله أيضاً :

ففاضت دموعُ العين منى صبابةً على النحرِ حتى بَلَّ دمعِىَ مِحْمَلى[٦٦]

ويتضح مماسبق أن ألف الوصل تثبت فى البيت لفظاً وخطاً ، وأن الواو والياء تثبتان فى اللفظ ولا تكتبان .

ولايجوز أن ينوب أحد هذه الحروف الثلاثة مناب الآخر فى الوصل ؛ لأنها إشباع لحركة الروى التى لا يجوز أن يخالف بعضها بعضاً ، وخاصة أنها فى آخر البيت حيث يبرز أدنى اختلاف أكثر من بروزه فى المواضع الأخرى[٦٧] .

٢ – الهاء : اتخذوا منها وصلاً ؛ لأنها شابهت حروف المد فى : خفاء صوتها ، وكون

---

(٦٣) ذو طلوح : موضع . ومثلها لام الفعل المعتل الآخر بالواو عند جزمه ، فعلامته حذف واوه الأصلية ، أما الموجودة فواو الإطلاق .

(٦٤) الحجل : الخلخال ، يريد أن خصرها دقيق . وساقها ممتلئة .

(٦٥) التنوخى ٩٢ – ٩٤ .

(٦٦) المحمل : حمالة السيف . ومثلها لام المعتل الآخر بالياء المجزوم ، فعلامة جزمه حذف الياء الأصلية ، أما الموجودة فللإطلاق .

(٦٧)الأخفش ١٣ . خصائص ابن جنى ١ : ٨٤ .

مخرجها من مخرج الألف ، وتبين بها حركة ماقبلها فى مثل عَلَيَّهْ ، وارْمِهْ ، واغْزُهْ ، وعَمَّهْ ، أى علىَّ ، وارمِ ، واغزُ ، وعَمَّ ؛ كما تبين الألف حركة النون فى الضمير أنا . ويتم هذا عند الوقوف عليها . أما إذا واصلتَ الكلام فتحذف الهاء أو الواو . كذلك جاءت الهاء خلفاً عن الألف فى بعض الكلمات ، مثل أَرَقتُ الماء وهَرَقْته بمعنى واحد ، وأيازيد وهيا زيد فى النداء . وهُنا وهُنَه فى الدلالة على المكان القريب[٦٨] .

وتماثل الهاء حروف المد فى مجيئها أصلية : مثل البيتين الأول والثالث من قول الراجز :

أعطيتُ فيها طائعاً أوكارها
حديقة غلباء فى جدارها
وفرساً أنثى وعبداً فارها

أو هاء سكت لإبانة الحركة مثل قول الشاعر :

بالفاضلينَ أولى النُّهَى فى كلِّ أمرِكَ فاقْتَدِهْ[٦٩]

أو هاء تأنيث ، مثل قول الشاعر :

ثلاثةٌ ليس لها رابعٌ الماء والبستان والخمرَهْ

أو هاء ضمير ، مثل قول ذى الرمة :

وقفتُ على ربعٍ لميَّة ناقتى فما زلتُ أبكى حوله وأُخاطِبُهْ

واتفقت الهاء مع حروف المد فى مجيئها ساكنة مثل الأمثلة الماضية ، ثم خالفتها فى مجيئها متحركة أيضاً . وتكون متحركة بفتحة ، مثل قول الشاعر :

فى ليلة لا نرى بها أحداً يحكى علينا إلا كواكبُها

أوكسرة مثل قول إحدى نساء العرب :

ياربِّ : مَن عادَى أبى فعادِهِ
وارمِ بسهمَيْنِ على فؤادِهِ
واجعل حِمام نفسه فى زادِهِ

أوضمة مثل قول الشاعر :

يتمنى المرءُ فى الصيف الشتا فإذا جاء الشتا أنكرهُ

هذه هى الحروف التى اتفق العلماء على مجيئها وصلاً ، أضيف إليها تاء التأنيث ، وكاف

---

(٦٨) الأخفش ١١ . التنوخى ١١٢ . العقد الفريد ٥ : ٤٩٧ .

(٦٩) النهى : العقول ، جمع نهية . واقتده : أصلها اقتد ، وزيدت الهاء للسكت .

الخطاب ، والميم المتصلة بالضمائر ، تلك الحروف التى اختلف العلماء فيها ، وتَتَبَّعت أقوالهم فى حديثى عن الروى تتبعاً يغنى عن العودة إليها هنا . وأضيف إليها أيضاً تنوين حرف الإطلاق ، ونون التوكيد الخفيفة ، والهمزة الساكنة المبدلة من ألف الوقف ، تلك الحروف التى أبى العلماء أن يعدوها روياً ولا وصلاً – كما ذكرت فى الحديث عن الروى – وأهملوا تسميتها ، لندرتها فيما يظن[٧٠] .

وقد أدت الحروف التى يتنازعها الروى والوصل إلى أخطاء عدة ، وقع فيها العلماء ، والأئمة الذين لايجيدون العروض . وقد أراد بعض علماء القوافى التيسير والاحتياط فأطلق الحكم قائلاً : « الأحسن فى كل ما وقع فيه خلاف أن يجعل وصلاً » .

الخـروج

الخروج حرف المد الذى يلى هاء الوصل المتحركة نتيجة إشباع حركتها . سمى بذلك لأنه يُخرَج به من البيت ، أو لبروزه وتجاوزه الوصل . فإذا كانت الهاء مفتوحة كان خروجها ألفاً ، كقول الشاعر :

ألاَ هَزِئت بنا قُرَشِيـّـةٌ يهتـزُّ موكبهَـا

الباء الروى ، والهاء وصل ، والألف خروج . وإذا كانت الهاء مكسورة كان الخروج ياء ، كقول الشاعر :

وإنْ بابُ أمرٍ عليك الْتَوى فشاوِرْ لبيبًا ولا تَعْصِهِ (ى)

الصاد روى ، والهاء صلة ، والياء خروج ، ولاتثبت فى الخط . وإذا كانت الهاء مضمومة كان الخروج واواً ، كقول الشاعر :

فيالائمى : دَعْنى أغالى بقيمتى فقيمةُ كلِّ الناسِ مايُحسنونهُ (و)

النون روى ، والهاء صلة ، والواو خروج ، ولاتثبت فى الخط .

والخروج من الحروف غير الضرورية فى القافية ، غير أنه إذا ورد فى بيت لزم بعينه فى سائر القصيدة . ولاينوب أحد حروف المد عن الآخر فى الخروج ؛ لأنه الصوت الأخير فى القافية ويجب أن يتماثل كل التماثل فى جميع الأبيات : فالاختلاف فيه أقبح من الاختلاف فى حركة الروى (الإقواء) .

---

(٧٠) الإرشاد الشافى ١٣٥ .

ويقرب من الخروج ما حكاه الأخفش[٧١] عن بعض العرب قال : إنهم إذا أنشدوا شعراً آخره هاء الضمير المذكر الساكنة حركوها وأشبعوا صوتها ، وإن أخرجها ذلك عن الوزن . وراعوا فى تحريكها الحرف الذى قبلها ، فإذا كان مضموماً ضموها وأشبعوها حتى يتولد عنها واو ، كقول الراجز :

لما رأيتُ الدهرَ جَمًّا خَبَلُهُ (و)[٧٢]

والأصل الذى يلائم الوزنَ خَبَلُهْ . وإذا كان ماقبلها مكسوراً كسروها وأشبعوها حتى يتولد عنها ياء ، مثل قول الراجز :

رسم دارٍ وقفتُ فى طَلَلِهِ (ى)[٧٣]

والأصل طَلَلهْ ، ولكن الأخفش لم يسم هذا الصنيع وصلاً ، وإنما سمى الحركة التى تأتى على الهاء الساكنة التعدى ؛ لأنها تخرج البيت عن اعتدال وزنه ، وسمى الحرف المتولد عنها المتعدى ، وعلل ذلك بأن الأصل فى هذه الهاء التحريك ، فأجراها العرب على ماعتادوه ، ولم يأبهوا للزيادة الحادثة فى الوزن الشعرى ؛ لأنها غير معتدّ بها . ولايجتمع التعدى والغلو (تنوين الروى المقيد) فى قافية أبداً .

الردف

الردف أحد حروف العلة يسبق الروى دون حاجز بينهما ،سمى بذلك لوقوعه خلف الروى كالردف خلف راكب الدابة ، تبعاً للخليل الذى ينظر إلى القافية من آخرها إلى أولها ، قال التبريزى[٧٤] : « وإنما سمى ردفاً لأنه ملحق فى التزامه ، وتحمّل مراعاته بالروى ، فجرى مجرى الردف للراكب لأنه يليه وملحق به » . وقال الدمنهورى[٧٥] : « وهو أيضا بمعنى اسم المفعول أى المردوف به الروى .. ويحتمل أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل ، وهو ما أشار إليه بعضهم كالشيخ الصبان فى شرحه على منظومته حيث قال فيه : سمى ردفاً لأنه خلف الروى .. لأنه -- وإن سبق الروى نطقاً – مؤخر عنه رتبة ؛ لأنه دونه فى اللزوم » .

---

(٧١) ١٢ ، ٣٤ – ٣٦ . ابن السراج ١٠٥ . كافى التبريزى ١٥٩ .

(٧٢) الجم : الكثير .

(٧٣) الأطلال : بقايا الدور المهدمة .

(٧٤) الكافى ١٥٤ .

(٧٥) الإرشاد ١٤٨ .

ويأتى الردف ألفاً فيجب أن تلتزم بعينها فى القصيدة كلها ؛ لأنها أوضح حروف المد صوتاً[٧٦] . قال جرير :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ وجدتَ الناسَ كلهمُ غِضَابا

ويأتى واواً مضموماً ماقبلها ، كقول الشاعر :

لو حَبا اللهُ خَلْقَه بالتساوى لرأينا الثمار فى كل عُودِ[٧٧] !

أو مفتوحاً ماقبلها : كقول الراجز :

مالك لاتَنبحُ ياكلبَ الدَّوْمْ
بعد هدوءِ الحىِّ أصوات القَوْمْ؟
قد كنت نبّاحاً ، فما لك اليَوْمْ؟

ويأتى ياء مكسوراً ماقبلها : كقول عبيد بن الأبرص :

من يسألِ الناسَ يحرموهُ وسائلُ اللهِ لا يَخِيبُ

أو ياء مفتوحاً ماقبلها كقول الراجز :

يمنعُها شيخٌ بخديه الشَّيْبْ
لايحذر الرَّيْبَ إذا خِيفَ الرَّيْبْ[٧٨]

وانفرد التنوخى[٧٩] بتسمية الردف الواوى أو اليائى المفتوح ماقبله الجزم المنبسط ، والثوانى ؛ والردف الآخر منهما بالجزم المرسل .

وروى أبو بكر الخراز العروضى أن سيبويه لايجيز مجىء الردف واواً أو ياء بعد حرف مفتوح[٨٠] ، ولكن الشعر العربى فيه كثير منه مثل المثالين اللذين أوردتهما .

وجاء الردف حرفاً مهموزاً خُففت همزته فصار واحداً من حروف المد الثلاثة ، مثل الراس فى الرأس ، والذِّيب فى الذئب ، واللُّوم فى اللؤم .

وتعاقبت الواو المضموم ماقبلها والياء المكسور ماقبلها فى الشعر الواحد ، مثل قول عدى ابن زيد :

أرَواحٌ مُودِّعٌ أم بُكورُ أنت ، فانظرْ بأىِّ حالٍ تصيرُ

كما تعاقبتا عند فتح ماقبلها ، مثل قول الراجز :

---

(٧٦) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ٢٦٥ .
(٧٧) حبا : أعطى .
(٧٨) الريب : الفزع .
(٧٩) ٨٨ .
(٨٠) التنوخى ٩٠ .

كنتُ إذا ماجئتُه من غَيْبِهِ يَشَمُّ رأسى ويَشمّ ثَوْبِى

وعلل الأخفش[٨١] ذلك بأن الواو والياء أختان ، تُقلَب كل واحدة منهما إلى صاحبتها ، وتحذفان فى الوقف فى القوافى ورءوس الآيات ، وتدغم كل واحدة منهما نحو مقضىّ ومرمىّ وتقلب الواو ياء فى صاحبتها ، وعلله الدكتور إبراهيم أنيس[٨٢] بتشابههما فى طريقة تكونهما ؛ حتى إن السامع قد يخطئ فى سماع الواو وتطرق أذنه كما لو كانت ياء .

وعلى الرغم من ذلك – استقبح المعرى هذا التعاقب فى الروى المقيد ، قال[٨٣] : « ولم يفرقوا بين المقيد والمطلق فى مجىء الواو المضموم ماقبلها مع الياء المكسور ماقبلها ، والياء التى قبلها فتحة مع الواو التى ماقبلها مفتوح . وأنا أفرق بين المطلق والمقيد ، وأعده فى المقيد أشدّ ؛ لأن الروى لايكون بعده مايعتمد عليه ، قال الراجز فى الواو المضموم ماقبلها مع الياء التى قبلها كسرة :

إنْ تشربى اليومَ بحوضٍ مكسُورْ
فُربَّ حوضٍ لك ملآن السُّورْ
مدوَّرٍ تدويرَ عشِّ العصفُورْ
خيرُ حياض الإبلِ الدَّعائِيرْ

فهذا عندى أقبح منه إذا استعمل فى الشعر المطلق .

وقال الراجز فى الفتحة مع الواو والياء – والقافية مقيدة – فى صفة الحِرْباء :

ملعونة تَسْلَخ عن لونٍ لَوْنْ
كأنها ملتفَّةٌ فى بُرْدَيْنْ

وتأثر به تلميذه التنوخى فقال[٨٤] : « لو سلمت القصيدة على شىء واحد لكان أحسن . . » .

وإذا كان المعرى وتلاميذه انفردوا بهذا الاستقباح فإن العلماء اتفقوا على استقباح تعاقب المردف بحرف مد والمردف بحرف لين : كقول عمرو بن كلثوم فى وصف الدروع :[٨٥]

إذا وُضِعت عن الأبطالِ يوماً رأيت لها جلودَ القوم جُونا
كأن مُتونَهنّ مُتونُ غُدْرٍ تُصفِّقها الرياحُ إذا جَرَيْنا

---

(٨١) ١٥ ، ٢٢ .

(٨٢) موسيقى الشعر ٢٦٥ .

(٨٣) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٢٨ . والدعائير : الحياض المهدمة . جمع دعثور .

(٨٤) ٩٠ .

(٨٥) الجون : السود . المتون : الظهور . الغدر : الغدران . تصفقها : تثنيها .

وروى الأخفش[٨٦] عن قوم أن الخليل كان يمنع تعاقب الواو والياء فى القصائد الهمزية ، فلم يجز يسوء مع يجيء مثلا ، خشية أن يخفف الشاعر الهمزة فيختلف الروى ، ويضيع الردف ، إذ تصير أولاهما يسو وأخراهما يجى . ولكن الأخفش أجازه ، معتمداً على أن الشاعر إنما جعل الهمزة حرف روى ، ولو كان التخفيف من لغته لما فعل ، وعلى الرغم من ذلك ، اتقى الشعراء ماخافه الخليل .

وأخيراً منع الأخفش[٨٧] الواو والياء المدغمتين أن تصيرا رويًّا ، إذ يجوز أن تأتى عَدْوا وجِروا مع دَوًا وجَوًا ، وظَبْيا ورَمْيا مع حَيًا ولَيًا . فإنهما لما أدغمتا ذهب عنهما المد ، فأشبهتا غيرهما من الحروف ، فلم يصيرا ردفين .

وجاء الردف فى كلمة القافية نفسها كالأمثلة السابقة . وجاء أيضا منفصلاً عنها ، كقول أبى العتاهية :

أتتْه الخلافَةُ منقادةً إليه تُجرِّر أَذيالَها

فلم تكُ تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

فالردف فى البيت الأول ألف أذيال ، وهى كلمة القافية ، وفى البيت الآخر ألف إلا .

وقد صنف العلماء الردف إلى الأصناف التالية تبعاً لوروده فى الشعر :

١ – الردف الواجب : وذلك فى القافية المترادفة ، تسهيلاً للانتقال من أحد الساكنين إلى الآخر بالمد ، كقول حافظ إبراهيم :

قضَيتُ عهد حداثتى مابين ذلٌّ واغترابْ

وعلى الرغم من ذلك لم يردفها بعض الشعراء ، وهو قبيح ، كقول الحريرى[٨٨] :

كأنى بك تَنْحَطُّ إلى اللحدِ وتنغَطْ

وقد أسلمك الرهْطُ إلى أضيق من سَمْ

التقى الساكنان فى الرهط دون مد .

كذلك يجب الردف عند الأكثرين فى ضرب البيت التام – أى المستكمل الأجزاء الثابتة له فى دائرته إذ لم يدخله جَزّ ولاسواه – إذا نقص من ضربه حرف متحرك أو زنته ،[٨٩] ليقوم

---

(٨٦) ١٥ – ١٨ .

(٨٧) ٢١ .

(٨٨) تنغط : تغوص . والسم : خرم الإبرة .

(٨٩) المراد بنقص زنة المتحرك حذف حرف ساكن مع حركة ما قبله ، فحذف اللام – وهى حرف متحرك – =

المد الحاصل من الردف مقام المحذوف ، فيتعادل العروض والضرب كما فى البسيط والرجز

وأجاز سيبويه عدم إردافه لقيام الوزن بالحرف الصحيح مقامه بحرف العلة ، كقول الشاعر :

ولقد رَحلتُ العِيسَ ثم زجرتُها قِدْما ، وقلتُ : عليكِ خَير مَعَدّ[٩٠]

أما البحور التى كثر نقصها وتجزئتها مثل المديد والوافر والكامل والسريع والمنسرح وغيرها فلم يلتزم حرف اللين معها دواماً . ومثال عدم الالتزام قول الشاعر من السريع :

أنزلنى الدهرُ على حكمه من شامخٍ عالٍ إلى خَفْضِ

وأوجب جمهور العلماء الردف فى الضرب الثالث من الطويل (مفاعى) ، على الرغم من أنه لايدخل تحت النوعين السابقين ؛ إذ لم يلتق فيه ساكنان ولاحذف منه حرف متحرك أو زنته ، بل المحذوف منه حرفان : متحرك وساكن . واختلفت الأقوال فى تعليله دون أن تصل إلى رأى مرضى[٩١] .

٢ – الردف المختار : وذلك إذا كان البيت غير تام البناء – أى لم يستكمل أجزاء دائرته – ونقص من ضربه حرف متحرك أو زنته . وقد جعل بعضهم الردف فى هذه الحالة لازماً ، ولكن جمهور العلماء لم يوجبوه ، وأجازوا تركه ، قال الشاعر :

إلى دارى التى فيها ضياء العلم يهدينى

٣ – الردف المستحسن : وذلك فى غير الصنفين السابقين ، استحسنوه استكثاراً من المد فى الأواخر ؛ لأنها محل مد وترنم : كما قال المهلهل :

جارتْ بنو بكرٍ ولم يَعْدِلوا والمرءُ قد يعرف قَصْدَ الطريقْ

٤ – الردف الممتنع : وذلك فى الشعر المؤسس .

وكره العلماء أن يجىء بيت مردف وآخر غير مردف ، وسموا ذلك السناد ، كقول الشاعر :

إذا كنت فى حاجة مُرسِلاً فأرسل حكيما ولا تُوصِهِ
وإنْ بابُ أمرٍ عليك التوى فشاورْ لبيباً ولا تَعْصِه

= من مستفعلن فتصير مستفعن كحذف النون – وهى ساكن – منها ؛ ثم إسكان اللام فتصير مستفعلْ ، ولا فرق بين مستفعل ومستفعن فى الوزن العروضى .

(٩٠) العيس : الإبل البيض .

(٩١) انظر الإرشاد ١٤٩ ، والبسط ١٢٥ .

أردف البيت الأول بالواو ، وأهمل الآخر ، فالردف - وإن كان غير ضرورى - يلتزم فى القصيدة كلها إن ورد فى أحد أبياتها .

التأسيس

التأسيس ألف بينها وبين الروى حرف متحرك ، سميت بذلك لتقدمها على جميع حروف القافية فأشبهت أس البناء .

ولايكون التأسيس إلا بالألف ، وتسمى الحرف الهاوى أيضاً .

واختلفوا فى الألف المبدلة عن همزة كآخر المبدلة عن أأخر . فلم يوجب الخليل[٩٢] التزامها نظراً لأصلها ، وأخذاً بما جاء فى الشعر ، وأوجبه الأخفش مراعاة لصوتها الحالى ، ومعاملة لها معاملة الألف التى لا يعتد بأصلها واواً كان أو ياء . ومال العلماء المتأخرون إلى هذا الرأى ، ولكن الشعراء لم يأخذوا به كثيراً . قال امرؤ القيس :

إذا قلتُ : هذا صاحبٌ قد رضيتُه وقَرَّت به العينانِ ، بُدِّلْتُ آخَرا
كذلك حظى ما أُصاحب صاحباً من الناس إلا خاننى وتَغَيَّرا

أما الواو والياء فلم يختلفوا فى عدم عدهما تأسيساً ولا الالتزام بهما إذا ما أتيا فى هذا الموضع ، كقول أحمد شوقى :

باكريمَ الجدودِ عِشْ لبلادٍ عيشُها فى ذُرا جدودِك أرغدْ
ذاقتِ الأمن فى ظلالِ علىٍّ حينَ لا أمن فى المَشارق يُورَدْ

ويجب ألا يفصل بين الألف والروى غير حرف واحد ، فإن فصل بينهما أكثر من حرف فى مثل القناديل ، لم تعد تأسيساً ولم تلتزم .

وإذا كانت الألف فى الكلمة التى فيها الروى وجب التزامها بعينها ، كقول الشاعر :

ألاَ ياديارَ الحىِّ بالأخضرِ اسْلمى وليس على الأيامِ والدهرِ سالمُ

وإذا كانت الألف فى كلمة منفصلة عن كلمة الروى تروّينا فى الأمر : فإن كانت كلمة الروى تشتمل على ضمير جر بالإضافة كما فى غلامك ، كانت الألف تأسيساً ، وتحتم التزامها ؛ لأن الكاف التى هى حرف الروى لاتنفصل من الغلام . قال طرفة بن العبد :

---

(٩٢) الأخفش ١٥ .

قفى قبل وَشْكِ البَيْنِ يابنةَ مالكٍ وعُوجِي علينا من صُدورِ جِمالكِ[٩٣]

وإن كانت تشتمل على ضمير متصل جر بحرف ، مثل لى – جاز أن تكون الألف تأسيساً وتلتزم وألا تكون فلا تُلتزم ، ولكن الالتزام كثير فى أشعار العرب حتى أوجبه ابن واصل[٩٤] قال زهير :

ألا ليتَ شِعْرى : هل يرى الناسُ ما أرى من الدهرِ أو يبدو لهم مابَدا ليا ؟
بدا لىَ أنى لستُ مُدرِكَ مامضى ولاسابقاً شيئاً إذا كان جائيا

فالتزم الألف . وقال الراجز :

أيــةُ جــاراتِك تلك المُوصِيَهْ
قائلــةً : لا تَسْقِيَنْ بَحبْلِــيَهْ
لو كنتُ حبــلاً لَوصلتُهــا بِيَهْ
أو قــاصِراً وصلتُه بثــوبيَه

فلم يلتزم الألف التى جاءت فى البيت الثالث :

وإن كانت تشتمل على ضمير منفصل لم يعد تأسيساً ، وأجاز بعضهم عَدّه . قال حسان :

إذا ماترعرع فينا الغلامُ فما إنْ يُقال له : مَنْ هُوَهْ ؟
إذا لم يَسُدْ قبلَ شَدِّ الإزار فذلك فينا الذى لا هُوَهْ
ولى صاحبٌ من بنى الشَّيْصَبان فطوراً أقول ، وطوراً هُوَه

فلم يلتزم .

وإذا كانت كلمة الروى لاتشتمل على ضمير مطلقاً لم تعد الألف المنفصلة تأسيساً ولم تلتزم . قال عنترة :

ولقد خَشيتُ بأنْ أموتَ ، ولم تَدُرْ للحربِ دائرةٌ على ابنىْ ضَمْضمِ
الشاتِمَىْ عِرْضى ولم أَشْتُمْهما والناذرَيْن – إذا لم أَلْقَهما – دمى

وعلى الرغم من ذلك كله فإن عدم التأسيس قليل فى معظم الأحوال ، حتى إن بعضهم أجازه فى الحالة الأخيرة .

غير أن التنوخى استقبحه جدًّا[٩٥] . ومهما يكن من شىء استقبح العلماء تأسيس بيت

---

(٩٣) وشك : قرب . البين : الفراق . وعوجى : قفى .
(٩٤) البسط ١٢٦ – ٧ .
(٩٥) ٨٧ . البسط ١٢٧ .

وإهمال آخر تحقيقاً للتماثل الصوتى بين الأبيات جميعاً ، على الرغم من جوازه[٩٦] .

والسبب فى عدم الالتزام فى بعض الحالات بُعْدُ التأسيس عن الروى ، والفصل بينهما بحرف قوى[٩٧] ، أما جواز الالتزام مع الضمائر فعلّله السابقون بشدة احتياجها لما قبلها ؛ ليفسرها مما يتعارض هو والانفصالُ ويقوّى التأسيس[٩٨] .

ولما كان التأسيس ألفاً ، وكان الردف حرف مد ، والاثنان ساكنين وجوباً ، استحال أن يجتمعا فى بيت واحد .

الدخيـل

الدخيل الحرف المتحرك بين التأسيس والروى ، سمى بذلك لوقوعه بين حرفين خاضعين لمجموعة من الشروط على حين لايخضع هو لشروط مماثلة ، فشابه الدخيل فى القوم .

وليس الدخيل من الحروف الضرورية فى القافية ، ولكنه يلتزم إذا ماورد فيها ، غير أنه لايلتزم بعينه كبقية الحروف بل ينوب عنه أى حرف متحرك .

ولما كان الدخيل يجب أن يلاصق الروى متحركاً ، والردف لابد أن يلاصقه ساكناً ، وكان الدخيل يجب أن يقترن بالتأسيس ، وكان الردف لايقترن به – كانت النتيجة تعذر اجتماع الدخيل والردف فى قافية واحدة .

ومثال الدخيل قول جميل بثينة :

وقالت : تَرفَّقْ فى مقالة ناصح ... عسى الدهرُ يوماً بعد نأيٍ يُساعِفُ

فإنْ تَدْنُ منا يرجعِ الودَّ راجعٌ ... وإلا فقد بان الحبيب المُلاطف

فوليت محزوناً وقلت لصاحبى ... هو الموتُ إنْ بان الحبيب المؤالف

فالألف تأسيس ، والفاء روى ، ومابينهما دخيل ، وهو فى البيت الأول عين ، وفى الثانى طاء ، وفى الثالث لام ، ويختلف فى بقية الأبيات .

* * *

وخاتمة القول فى حروف القافية أننا نلاحظ غلبة حروف اللين عليها ، فهى تأتى تأسيساً

---

(٩٦) الموشح ١٥ .

(٩٧) الأخفش ٢٦ – ٢٩ . العقد ٥ : ٤٩٨ .

(٩٨) الإرشاد ١٥٤ . البسط ١٢٨ .

وخروجاً دائماً ، ووصلاً وردفاً فى أكثر الأحيان ، ورويًّا فى بعض الأحيان . فلا ينفرد الحرف الصحيح إلا بالدخيل . ويؤكد لنا ذلك ماتبينه (لانتس) لهذه الحروف من قيم موسيقية خاصة تحدث تأثيراً نفسيًّا شبيهاً بالتأثير الذى يحدثه اللحن الموسيقى ، وماتبينه الدكتور شكرى عياد[٩٩] من التزام صوتين لينين فى أكثر القوافى العربية التى اعتمدت على التكرار أو التقابل تعويضاً لها عما فقدته من تنوع . ومثّل للتكرار بقول أحمد شوقى :

أنادى الرسم لو مَلك الجوابا وأجزيه بدمعى لو أثابا

وللتقابل بقوله أيضاً :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تَبسُّم وثناء

أسماء القوافى تبعا لحروفها

تبين أن الحروف السابقة لاتجتمع كلها فى قافية ، وأن منها الضرورى الذى يجب أن تشتمل عليه القافية ، ومنها مايتعذر أن يجتمع هو وواحدٌ أو أكثر . وعلى هذا الأساس صنف العلماء القوافى إلى مايلى :

(ا) القوافى المقيدة ، وتنقسم إلى :

١ – المجردة : كقول لبيد :

إنّ تقوى ربنا خيرُ نَفَلْ وبإذنِ اللهِ رَيْثِى وعَجَلْ[١٠٠]

فليس فيه من الحروف الملتزمة غير الروى .

٢ – المردف : كقول طرفة :

من عائِدِى الليلة أم من يَصِيحْ؟ بِتُّ بِهمٍّ ففؤادى قَرِيحْ[١٠١]

الياء ردف ، والحاء روى .

٣ – المؤسس ، كقول الشاعر :

نَهْنِهْ دموعك إنّ من يبكى من الحَدَثان عاجزْ[١٠٢]

الألف تأسيس ، والجيم دخيل ، والزاى روى .

---

(٩٩) موسيقى الشعر ١١٣ .

(١٠٠) النفل : الهبة . والريث : البطء .

(١٠١) العائد : زائر المريض . القريح : الجريح .

(١٠٢) نهنه : كف .

(ب) القوافى المطلقة ، ولابد أن تكون موصولة ، وتنقسم إلى :

١ – المجردة الموصولة بحرف لين ، كقول حاتم الطائى :

يرى البخيلُ سبيلَ المال واحدةً إن الكريم يرى فى ماله سُبُلا

اللام روى ، والألف وصل .

والمجردة الموصولة بهاء ، كقول طرفة :

أشَجاك الرَّبْعُ أم قِدَمُهْ أم رمادٌ دارسٌ حُمَمُهْ(١٠٣)

الميم روى ، والهاء وصل .

٢ – المجردة الموصولة بهاء وخروج ، كقول ابن هرمة :

إن سليمى – واللهُ يَكْلَؤُها – ضَنَّت بشىء ما كان يَرْزَؤُها(١٠٤)

الهمزة روى ، والهاء وصل ، والألف خروج .

٣ – المردفة الموصولة بحرف مد ، كقول الشاعر :

طَحابك قلبٌ فى الحِسان طروبُ بُعيدَالشبابِ عَصْرَحانَ مَشيبُ(و)(١٠٥)

الباء ردف ، والباء روى ، والواو صلة .

والمردفة الموصولة بهاء ، كقول أبى العلاء فى النساء :

عَلَّموهُنَّ الغزْلَ والنَّسْجَ والرَّدْ نَ ، وخَلّوا كتابةً وقراءَهْ(١٠٦)

فالألف ردف ، والهمزة روى ، والهاء صلة .

٤ – المردفة الموصولة بهاء وخروج ، كقول الشاعر :

وكنت إماماً للعشيرة تنتهى إليك إذا ضاقتْ بأمرٍ صدورُها

فالواو ردف ، والراء روى ، والهاء صلة ، والألف خروج .

٥ – المؤسسة الموصولة بحرف لين ، كقول الشاعر :

كثيرُ حياةِ المرء مثلُ قليلها يزولُ ، وباقى عيشه مثلُ ذاهبِ(ى)

فالألف تأسيس ، والهاء دخيل ، والباء روى ، والياء وصل .

---

(١٠٣) شجاه : أحزنه . الربع : المنزل ، الدارس : المنهدم . الحمم : ما اسود منه ، جمع حمة .

(١٠٤) يكلؤها : يحرسها . يرزؤها : يصيبها .

(١٠٥) طحا : ذهب فى كل شىء .

(١٠٦) الردن : ترتيب الأمتعة والأثاث .

والمؤسسة الموصولة بهاء ، كقول الشاعر :

هُمُ قتلوه كى يكونوا مكانَه كما نَذِرت يوماً بكِسْرَى مَرازبُهْ[١٠٧]

فالألف تأسيس ، والزاى دخيل ، والباء روى ، والهاء وصل .

٦ – المؤسسة الموصولة بهاء وخروج ، كقول الشاعر[١٠٨] :

وماءٍ لا أَنيسَ به مُطَحْلَبَةٍ جوانبُهُ (و)

وردتُ ، ولَيلهُ داجٍ وقد غارتْ كواكبه (و)

فالألف تأسيس ، والنون والكاف دخيلان ، والباء روى ، والهاء وصل ، والواو خروج .

---

(١٠٧) نذر : آلَبَ وحرض . والمرازب : رؤساء الفرس ، جمع مرزبان .

(١٠٨) مطحلبة : علاها نبات الطحلب . وردت : جئت . الداجى : المظلم . غارت : غابت .